الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠-١٤؛ ٢: ١-٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ هي صُنعُ يدَيْك* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَك موطِئاً لقدَمَيْك* أليسوا جميعُهم أرواحاً خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيرِثونَ الخلاص* فلذلك يجبُ علينا أن نُصغي إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنةِ ملائكةٍ قد ثبَتت وكلُّ تعدٍّ ومعصِيَةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قد نُطِقَ به على لسان الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

المعاناة والشفاء

المعاناة هي محنة شديدة تصيب الأشخاص عندما يواجهون أحداثًا تهدّد سلامتهم. تظهر المعاناة عندما يكون دمار الإنسان وشيكًا وتستمر هذه المعاناة إلى حين زوال خطر الانحلال أو إلى أن تُستعاد سلامةُ الإنسان بطريقة أخرى.

المعاناة تكبر كلّما أصبحت تطال أبعاد الإنسان الأربعة: البعد الجسديّ والبعد النفسيّ والبعد الروحي والبعد الاجتماعيّ.

لا بدّ أن المفلوج الذي وردت قصّته في إنجيل اليوم كان يواجه معاناةً كبيرة. فهو على الصعيد الجسديّ ما كان يستطيع الحراك واحتاج إلى أربعة رجال ليحملوه ويقدّموه إلى الربّ. هذا المرض الجسديّ لا بدّ أنّه سبّب للمفلوج إحباطًا نفسيًّا لأنّه لم يجد علاجًا لمرضه. أمّا على الصعيد الاجتماعيّ فهو ما كان يقدر أن يقوم بالعلاقات الاجتماعيّة ومتطلباتها التي كان يعيشها باقي الناس الأصحّاء، حتّى إنّه لم يقدر أن يقترب إلى الرّب يسوع مثل باقي النّاس بسبب مرضه الذي كان يمنعه من الوقوف. يبقى أنّ الكتاب المقدّس لم يذكر أيّ أمر عن وضعه الروحيّ سوى أنّ الله غفر له خطاياه. لكلّ منّا خطاياه، لكن يبدو أنّ هذا الرجل تمتّع بإيمان كبير هو والذين حملوه، هذا الإيمان جعلهم ينقبون السقف ليدلّوا السرير أمام الربّ يسوع.

من المؤكّد أنّ كلًّا منّا لديه معاناته الخّاصة، قد تشبه في بعض أوجهها معاناة هذا المفلوج. لكنّ المعاناة يختبرها كلّ منّا بطريقة مختلفة لأنّها ليست أمرًا محدّدًا نفهمه بعقلنا فقط. يقول ديكارت: «أنا أفكر إذًا أنا موجود»، لكنّ هذه المقولة لا تكفي لتحديد ما هو الإنسان، وإن كان العقل هو جزء من الإنسان. الإنسان غالبًا ما يكتشف ذاته من خلال علاقته مع الله ومع القريب ومع ذاته. كلُّ واحد منّا لديه جسده الخاص وأحاسيسه، لديه شخصيّته وطبعه وعاداته، لديه ماضيه وعائلته وخلفيّته الثقافيّة، لديه مواهبه وعمله وآماله المستقبليّة، لديه حياته الروحيّة الخاصة. المعاناة هي نتيجة أمرٍ قد يصيب أحد أوجه علاقات الإنسان مع نفسه أو مع الله أو مع القريب، لكن فرادة كلّ إنسان تجعل معاناته خاصّة ومختلفة عن معاناة أيّ

العدد ١٣ / ٢٠١٦

الأحد ٢٧ آذار

الأحد الثاني من الصوم

أحد القديس غريغوريوس بالاماس

تذكار أمنا البارة الشهيدة مطرونة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر العاشر

إنسان آخر ولو كانا على سبيل المثال يواجهان المرض ذاته أو المشكلة ذاتها.

يخبرنا القدّيس رومانوس المرنّم (القرن السادس) في إحدى ترانيمه كيف شفى الربّ يسوع بصليبه وموته خليقته المجروحة. يرد ذلك في صورة حديث بين الربّ يسوع المعلّق على الصليب ووالدته مريم العذراء التي لا تستطيع احتمال رؤية ابنها في هذه المعاناة الرهيبة: «أصبري قليلًا بعد يا أمّي وسترين كيف أنّني سأعرّيهم كطبيب وأصل إلى المكان الذي تختبئ فيه جراحهم وأعالجها، وسأقطع بالحربة أنسجتهم الليّنة (الناتجة عن الجراح) وقشور جراحاتهم. وسآخذ الخلّ وأضعه مثل العقول (مادّة طبيّة) على الجرح، وبعد أن أتحقّق بمسبار المسامير من الجرح، سأغطّيه بردائي، وسأستخدم صليبي كأداة للتجبير يا أمّي، حتى إنّك ترتلين بفهم: بمعاناتك ألغيت المعاناة، يا ابني وإلهي».

كيف ألغى ربّنا معاناتنا على الصليب؟ يقول القدّيس إغناطيوس الإنطاكي: «إذا لم نختبر بملء إرادتنا أن نموت من خلاله في آلامه (في معاناته)، لا تكون حياته فينا». هذا الموت هو موت عن الخطيئة. إن «الخطيئة» في اللغة اليونانيّة الكلاسيكيّة تعني أن نخطئ الهدف (خاصة عندما نرمي الرمح)، فهي فشل الإنسان في تحقيق هدفه. بسبب الخطيئة تنحرف الأمور في العالم الطبيعيّ والفوق الطبيعيّ، فيتأثّر كل العالم بها. تنتج الأمور السيّئة عن الخطيئة، فيتأثّر الناس بهذه السيّئات، وتحصل المعاناة. ترتبط الخطيئة والمعاناة جوهريًّا بالموت الذي ينتج عنهما، لكن الموت غدا بانتصار المسيح عليه معبرًا من الموت إلى الحياة.

إن ما ورد أعلاه يجعلنا نفهم لماذا عندما أُحضر المفلوج إلى الربّ يسوع غفر له أوّلًا خطاياه (كما في معظم حالات المرضى الذين شفاهم الرب). لقد أراد الربّ أن يشفي سبب كلّ معاناة أي الخطيئة. لو ركّز الربّ فقط على شفاء المرض لكان عالج النتيجة ولم يعالج سبب كلّ ألم ومعاناة. هذا لا يعني أنّ مرض المفلوج كان بسبب خطاياه، لأنّ الكنيسة تفهم المرض كنتيجة لحالة الخطيئة بشكل عام دون أن تكون مرتبطة بخطيئة الشخص المريض مباشرةً: «من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد اعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه» (يو ٩: ٢-٣). إنّ المعاناة لا تنتج فقط عن الألم الكبير، فمن الممكن أن تتألّم الأمُّ كثيرًا في وقت الولادة دون أن تختبر معاناةً كبيرة لأنّها تنتظر مولودها بشوق. ومن الممكن أن يعاني الإنسان كثيرًا بسبب تدهور علاقته مع أحبائه أو مع الله دون أن يشعر بألم جسديّ. كذلك الإنسان المحبّ لا يستطيع إلّا أن يشارك معاناة من يحبّهم: الرجال الأربعة الذين حملوا المفلوج شاركوه معاناته بدافع محبّتهم، كذلك والدة الإله عانت كثيرًا عندما عاينت آلام ابنها على الصليب.

في آخر إنجيل اليوم، وبعد أن غفر الربّ خطايا المفلوج، منحه شفاء الجسد أيضًا لسبب أعلنه بذاته: «لكي تعلموا أنّ ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا» (مر ٢: ١٠). لقد أتى شفاء ما هو منظور أي الجسد كدليل على شفاء ما هو غير منظور أي الذات الإنسانيّة. ألا منحنا الله في هذه الأيام توبةً صالحة فننال غفران الخطايا وتكون آلامنا المتنوّعة سبيلًا لتنقيتنا ولإرشادنا إلى الخلاص.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١-١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفْرَناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ البابِ يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه لسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعد ما نَقَبوهُ دلَّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلَّا اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام

للوقتِ وحمَلَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميعِ حتى دهِش كلُّهم ومَّجدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطُّ.

تأمل

إن الذي يستسلم للملذّات هو مفلوج نفسياً قابع على سرير محبّة اللذّة، معتقد بأنه هكذا يكون في راحة جسدية. لكن عند اقتناعه بالنصائح الإنجيلية وعند اعترافه يظفر على خطاياه، وهكذا يداوي شلل النفس. عندها يُحمَل إلى الرب من قبل أربعة، على مثال المخلّع، أعني: دينونته الخاصة لنفسه، اعترافه بخطاياه السابقة، وعده بالابتعاد في المستقبل عن كل شرّ، وابتهاله إلى الله الرحيم.

لكن هذه الأربعة لا تستطيع أن تقرّبنا إلى الله إن لم ننبش السقف مزيلين القرميد والتراب والمواد الأخرى. السقف بالنسبة لنا هو القسم العاقل من النفس لأنه أسمى ما يوجد فيها. هذا القسم فيه مواد كثيرة تغطّيه، وله صلة وثيقة بالأرضيات وبالأهواء المختلفة. عندما تنكشف هذه المواد وتزول عن طريق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه، عندها نستطيع بالفعل أن نتوجّه إلى الرب أي أن نتواضع في الحقيقة، أن نسجد ونقترب إلى الرب ونطلب الحصول منه على الشفاء.

لكن متى تحصل مثل أعمال التوبة هذه؟ عندما

القديسة مريم المصرية

تعيّد الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدّسة في الأوّل من شهر نيسان للقدّيسة مريم المصريّة. وقد خصّصت الكنيسة الأحد الخامس من الصوم الأربعيني المقدّس لإقامة تذكار هذه القدّيسة أيضاً.

الملفت في هذه القدّيسة أنّها أسلمت ذاتها مرّتين وفي كلتا الحالتين أسلمت الجسد والروح معاً. في شبابها أسلمت المصريّة ذاتها بالكليّة للشهوات والرغبات. لم يكن لديها أيّ رادعٍ لا أخلاقي ولا خلقي. كما أخبرت هذه القدّيسة بذاتها، فهي كانت تتفنّن في أشكال الخطيئة وتبتكر ما هو غير معتادٍ فيها. تحدّثت هذه القدّيسة إلى كاتب سيرة حياتها عن تمتّعها وشغفها السابق في ابتكار أنواع للخطيئة غير معروفة سابقاً. هذا كلّه أتى نتيجة الإستسلام للحريّة المزيّفة والرغبات والغرائب التي تطلبها هذه الحريّة حين تجمح لتصبح كالعربة التي يجمح حصانها.

من ناحيةٍ أخرى أسلمت المصريّة ذاتها بالكليّة للخالق حينما استبدلت الحريّة الزائفة بالإتّكال على والدة الإله. أضحت والدة الإله هي البوصلة التي تنظر إليها هذه الخاطئة في سعيها إلى الله. لقد تركت هذه الخاطئة حياة الفسق والفجور منطلقةً نحو المجهول. ذهبت إلى الصحراء حيث من الممكن أن تموت من العطش إلاّ أنّها أسلمت ذاتها بالكليّة إلى الله بشفاعة والدة الإله وعاشت حياتها بالتوبة والنسك. لم يمسّها شرٌّ ولم تمت من الجوع، رغم التجارب الضارية التي واجهتها، وذلك نتيجة اتّكالها المطلق على الله. إنطلقت المصريّة من ميناء التوبة إلى حياةٍ جديدة ملؤها الصلاة والإتّكال على الله متخلّيةً عن الرغبات وعن الإعتماد على الحريّة الباطلة.

وقفت المصريّة أمام مفترق. إمّا الإستمرار في حياة الخطيئة أو السلوك في الحياةِ مع الله. في الموضع الأوّل، إنغماسها في الخطيئة حجب عنها أيّ إدراكٍ للشرّ الذي عاشته. أمّا في الموضع الثاني فقد عاشت حياةً مع الله بعيدةً عن المادّة إذ لم تذعن لضعفات الجسد من تعبٍ وجوعٍ وعطش. إختارت المصريّة الحياةَ مع الله وقد كان التواضع منطلقها إذ فتح لها باب التوبة. بدون هذا التواضع لم تكن لتدرك خطيئتها وتكون لها جرأة الإعتراف بها والإبتعاد عنها وممارسة التوبة بدل الرذيلة.

غالباً ما يجد الإنسان نفسه عند هذا المفترق في حياته اليوميّة مدركاً أخطاءه وعالماً طريق الفضيلة. إلاّ أنّ الخيار يبقى صعباً حول أيّ من الطرق يسلك. الدوافع الإقتصاديّة والإجتماعيّة تدفع الإنسان أحياناً إلى الوقوع في مطبّات الخطيئة. بسبب هذه الدوافع قد يسمح الواحد لنفسه بالسقوط في الخطيئة عن وعي. أحياناً أخرى قد يسقط في الخطيئة عن جهل. في كلتا الحالتين هناك سقوطٌ في الخطيئة، إلاّ أنّ رحمة الله أكبر من خطيئة الإنسان إذا ما سعى هذا الأخير إليها. إذاً نحن أمام حالاتٍ مختلفة حيث قد يسمح الإنسان لذاته بالسقوط متّكلًا على التوبة فيما بعد، وهي حالةٌ تنطلق من التكبّر وحبّ الذات نحو التوبة لا من التواضع نحو التوبة. وقد قيل «لا تجرّب الرب إلهك» فإن كان الرب رحوماً فهو لا يفتح المجال أمامنا

لأن نطلق العنان لشهواتنا مستسلمين لها ومتأكّدين أنّنا متى شئنا يمكننا أن نتوب وتكون توبتنا مقبولةً عند الله.

عند مفترق الفضيلة والرذيلة على الإنسان أن يتشبّه بلوط وينظر إلى الأمام، إلى حياةٍ جديدة، إلى الحياة مع الله بالإتّكال عليه. على المؤمن أن يتّعظ من إمرأة لوط التي لّما نظرت إلى الوراء، أي إلى العتيق والحياة السابقة، خسرت كلّ شيءٍ. هذا كان خيار مريم المصريّة، التشبّه بلوط، لمّا انطلقت واضعةً الصليب نصب عينيها وكانت والدة الإله عوناً لها في جهادها. هذا الخيار هو الطريق التي يدعونا إليه الله إذا ما أنصتنا إلى كلمته «أنا هو الطريق».

لمّا كانت فترة الصيام زماناً للتوبة والتهيّؤ للحياة الجديدة التي مُنحت لنا بقيامة الرب، وضع الآباء القدّيسون تذكاراً لهذه القدّيسة في الأحد الخامس. فالتوبة التي يجاهد في سبيلها المؤمن في زمان الصوم، تجلب له الكثير من التجارب والصعاب. لذا وضع الآباء تذكار من جاهدوا الجهاد الحسن وتعبوا في ميدان النسك والجهاد الروحي ليكونوا المثال والحافز على متابعة جهاداتنا. خلال هذه المسيرة الروحيّة يحاول الشيطان جاهداً أن يشتّت المؤمن ويبعده عن التوبة ليعيده إلى الظلمة أو يجتذبه إليها. لا ينفكّ المجرّب عن استخدام حيلٍ متعدّدة لينال من جهاد المؤمن. لهذه الغاية تكثّف الكنيسة من الصلوات المقامة في هذه الفترة ليلقي المؤمن عنه الخمير العتيق حسب وصيّة الرسول ويسلك في جدّة الحياة. ليكن هذا الجهاد هو السكّة التي سيسلكها المؤمن في حياته حيث هو مدعوٌّ لعيش فرح القيامة بشكلٍ يوميّ.

من أقوال القديس بورفيريوس الرائي

المسيح هو الفرح، هو النور الحقيقي والسعادة، المسيح هو رجاؤنا. والعلاقة مع المسيح هي علاقة محبة وعشق وحماس، إنها شوق إلهي. المسيح هو الكل. إنه حبُّنا، إنه عشقنا. عشق المسيح لا ينقص، منه ينبع الفرح.

الفرح هو المسيح بالذات، إنه فرح يجعلك إنساناً آخر. إنه جنون روحي ولكن في المسيح، يُسكرك كالخمر الصافي، بحسب قول داوود: «مسحتَ بالدهن رأسي وكأسك تسكرني كالخمر» (مز ٢٣: ٥). الخمر الروحي هو خمر صافٍ لا غشَّ فيه، قوي جداً، وعندما تشربه يُسكرك. هذا السُّكر الإلهي هو عطيَّة من الله، يُمنح «لأنقياء القلوب» (متى ٥: ٨).

صوموا قدر ما تستطيعون، إصنعوا ما أمكنكم من السجدات، وتمتَّعوا بما تشاؤون من السهرانيات. ولكن كونوا فرحين. إمتلكوا فرح المسيح، إنه فرح يدوم إلى الأبد، وبهجته أبدية. إنه فرح ربنا الذي يعطي الهدوء الأكيد والابتهاج الهادئ والسرور الكلي الطرب. إنه الفرح الذي يفوق كل فرح. إن المسيح يريد ويُسَرُّ في أن يتعمَّم الفرح، وأن يغتني المؤمنون به. أتمنى «أن يكون فرحكم كاملاً» (١ يو ١: ٤).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

جاء يسوع إلى مدينته أي عندما أتى إلى العالم كإنسان. والعالم هذا هو خاصته لأنه من إبداعه كما يقول الإنجيلي يوحنا: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو١: ١١-١٢). هكذا عندما يسجد الذهن الذي عانى الشلل بإيمانٍ يسمع للحال الرب يدعوه «يا بنيّ»، ويتقبّل منه الغفران والشفاء. ليس فقط هذا، بل أيضاً يحصل على القدرة التي تجعله ينهض ويحمل سريره على كتفه، السرير الذي كان مستلقياً عليه. أعني بالسرير الجسد المادي المرتبط به والذي به يتمّم الذهن الخاضع للشهوات الجسدية أعمال الخطيئة.

لكن بعد الشفاء يسود الذهن على الجسد ويرشده، فيصبح الجسد خاضعاً له. ويُظهر الذهن عن طريق الجسد ثمار التوبة وأعماله حتى ان الشهود على كل ذلك يمجّدون الله عندما يرون اليوم إنجيلياً كان بالأمس عشاراً، رسولاً كان مضطهداً، لاهوتياً كان لصاً، ابن الآب السماوي مَن كان بالأمس يعيش ويتصرّف مع الخنازير. فتراه إن شئت يحقق مصاعد في قلبه ويرتقي من مجد إلى مجد، يتقدّم كل يوم نحو الأفضل.

القديس غريغوريوس بالاماس